التحديات التي تواجه وجود المسلمين في أوروبا



مسجد كولونيا بألمانيا

أ. عبد الإله الغياثي أبو طارق

المحتوى

نظرة تاريخية

مقدمة

يضن البعض أن وجود المسلمين في الغرب وجود مرتبط بالهجرة الحديثة التي تطورت بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة في الجانب الغربي من أوروبا، أما الواقع فغير ذلك لأن الوجود الإسلامي في باقي الغرب وفي أوروبا الشرقية والأندلس فعمره أكثر من ألف سنة. أما في شرق أوروبا، فتاريخ وجود المسلمين يعود إلى فترات مختلفة، منها ما يعود لتبني الشعوب الدين الإسلامي بشكل جماعي عند الفتوحات العثمانية، وهذا يتعلق خاصة بمسلمي البلقان مثل البوسنة والهرسك والقصوى (كوسوفو) وألبانيا وغيرها.

في أواخر أكتوبر 2015، قال رئيس الوزراء المجري فيكتور أوربان في إحدى خطبه: "الإسلام لا علاقة له بأوروبا، إنها مجموعة من القواعد التي تم إنشاؤها لعالم آخر، وتم استيراد الإسلام إلى قارتنا. وعلى الفور أجابه رئيس الجالية الإسلامية في البوسنة والهرسك، ورئيس العلماء حسين كافازوفيتش، مذكرا إياه، بأن اليهودية والمسيحية ولدوا أيضًا خارج أوروبا.

الإسلام في غرب أوروبا

فتح القائد طارق بن زياد الأندلس في عام 92 من الهجرة الموافق لعام 710 م

ولقد ذكر المؤرخون أن المسلمين توغَّلوا في شبه جزيرة الأندلس وعبروها لفتح فرنسا، وقد تجاوزوا جبال (البيرنييه) الفاصلة بين الأندلس وبين فرنسا، وتقدموا شمالاً إلى أن وصلوا إلى مدينة (بواتييه) الفرنسية.

وبعد معركة بلاط الشهداء، كان انهزام المسلمين عام 114 وهكذا توقف المد الإسلامي داخل فرنسا.

(تم توضيح التهديد المسلم على أراضي الفرنجة، الذي لا يزال بعيدا حتى منتصف عام 710، من 717-718، عندما استقر المسلمون حينذاك في إسبانيا، وتقدموا شمال جبال البرانس، واحتلوا ناربونيز (سيبتيمانيا)، وشنوا غارات في بروفانس، وصعدوا على طول وادي الرون إلى بورغندي حيث ازداد الارتباك بسبب حقيقة أن

اللوردات المحليين، وكذلك قادة الباسك، كانوا يتفاوضون على اتفاقات ثنائية مع قادة العشائر العربية التي أتت من سوريا، مما ينص على مدفوعات الجزية، والتبادلات النسائية، والاعتراف المتبادل بالسيادة)[1]

وقد فتح أسد بن الفرات جزيرة صقلية سنة 212

صورة من داخل مسجد قرطبة في الأندلس

كانت مدن أوروبا عامة وجنوب إيطاليا تستعين بالمسلمين ليحارب بعضها بعضا، وكان هذا من أسباب الفتح الإسلامي في غرب أوروبا .

[1] **Georges Minois**

- Dans **Charles Martel (2020)**, pages 249 à 283



لقد كانت الأندلس مركز العلوم في أوروبا بشهادة جميع المؤرخين، حيث استطاع المسلمون أن يوفروا جوا علميا ينشط فيه الجميع ويجلب الطلبة من كل أنحاء أوروبا. ولقد بقي الوضع كذلك إلى أواخر القرن الخامس عشر ضمن الحضارة الإسلامية، لقد ساهم جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية لمدة ثمانية قرون تقريباً في التعريف بعظمة الإسلام.

منذ القرن الثامن، كانت الأندلس تهيمن عليها سلالات حاكمة من أصل عربي ثم بربري، جاء الأمويون من دمشق ثم المرابطون والموحدون من المغرب، وكانوا يحكمون بدورهم بالتسامح الكبير الذي عرف به الإسلام خلال وجوده في الأندلس.

قرطبة، التي كانت في السابق منافسة لبغداد، تحتفظ بواحد من أكثر المعالم الأثرية في العمارة الإسلامية ألا وهو مسجد قرطبة، هذه كلها كانت جامعات تحيط بها مدارس تؤوي الطلبة الذين كانوا يتوافدون عليها من كل أوروبا.

مسجد إشبيلية وصومعة الجيرالدا شاهدان على قمة في الهندسة المعمارية الإسلامية

قصر الحمراء وحدائقه وقنوات المياه الآتية من جبال سييرا نيفادا أكبر شاهد على مشاركة المسلمين في تجديد الحضارة الأوروبية ومدها بمقومات الحياة التي كانت سابقة لعصرها.

منذ بداية القرن الخامس عشر إلى سقوط غرناطة، تطور وجود المسلمين في الأندلس وخاصة بعد إنشاء محاكم التفتيش. لقد اضطر المسلمون الذين اختاروا البقاء في الأندلس إلى إخفاء هويتهم الدينية ومن ذلك إخفاء الشعائر كالصلاة والصيام. كانت الفتوى السائدة في الأندلس تقضي بوجوب الهجرة. وبالفعل فقد هاجر المسلمون كما هاجر اليهود معهم إلى المغرب الأقصى خاصة.

بعد سقوط غرناطة سنة 1492 الموافق 897 من الهجرة، بقي الكثير من المسلمين الذين رفضوا الهجرة، رغم شراسة محاكم التفتيش والمحاكمات التي كانت تتهم الناس بالتخفي تحت ستار المسيحية. وقد استمر المسلمون على إخفاء دينهم طيلة قرنين من الزمان كما ذكر ذلك الباحثون.

تربية أبناء المسلمين في ظل التعصب الديني

كيف كانت تربية الأطفال في الفترات التي شهدت تلك الأعمال البربرية التي ارتكبتها محاكم التفتيش؟ وكيف كان موقفهم من عمليات الاستلاب الثقافي. لقد كان الإسبان الجدد كاثوليكيين متعصبين لا يرون مكانا لغيرهم ولذلك عرفت الحقبة التي تلت سقوط غرناطة أبشع أعمال السطو والقسوة وتضييق الخناق على المسلمين. لقد ساهمت الوشاية في التضييق على المسلمين، لقد كان البيان الصادر عن المحاكم واضحا يكشف كل مظاهر التدين ومنها تعظيم الجمعة واحترام أركان الإسلام الخمسة. بالإضافة إلى دفن الموتى بعد تكفينهم. وقد أجبر الناس على تغيير أسمائهم وترك الأغاني العربية. فكيف كان تعامل المسلمين أمام خطر السجن والجلد والاسترقاق والحرق أو التهجير؟

أمام هذا الضغط الكنسي التجأ المسلمون في الأندلس، بإيعاز من الفقهاء المغاربة وعلى رأسهم الونشريسي، إلى التقية والتستر في اداء الواجبات الدينية عند الشعور بالخطر. وكان استخدام التقية هو أسلوب المسلمين في الدفاع عن هويتهم وتمرير الثقافة والدين لأبنائهم. كان الفقيه الونشريسي، رحمه الله من أول علماء القرويين[2] الذين نظروا في الحالة المستجدة على المسلمين في الأندلس، حيث أصبح المسلمون يعيشون بين كفار غير متسامحين وليس مع أهل ذمة كما تعودوا في الماضي. لقد كانت الفتوى واضحة تماما: على كل من لا يستطيع الحفاظ على دينه ان يهاجر من دار الكفر إلى دار الإسلام. ومن هنا توضح ان دار الكفر هي تلك الدار التي لا تقبل بالتعددية. ودار الإسلام هي التي يجد فيها المسلم التسامح ويستطيع فيها ممارسة شعائر دينه دون الخوف على نفسه.

وهكذا اختار الكثير من الناس البعد عن العيش مع التقية، فقد فضلوا الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب.

---

[2] أول جامعة عرفها التاريخ بنتها فاطمة الفهرية قادمة من مصر إلى مدينة فاس لتساهم في تطوير العلوم فيها.

في ضل هذه الظروف المتقلبة، كان الأطفال يعيشون حالة من الهلع الدائم خشية ان يفشوا سر أسرهم. وكانوا يتعلمون القرآن في الأقبية وكذلك اللغة العربية الضرورية للعبادة.

كان على الأولياء أن يقوموا بغسيل الدماغ بعد زيارة الكنيسة لأن التعاليم الإسلامية لا تتوافق مع المسيحية في كثير من المسائل.

لقد كان على الأولياء ان يخفوا الحمامات كي لا يعرف الآخرون انهم أناس يتطهرون. وكانوا يبنون حجرات سرية في الأقبية من اجل الصلاة، وكانوا يخفون المصاحف في الحيطان بين عيدان القصب. وكل هذا أمام اعين الأطفال الذين كان عليهم منذ سن مبكرة ان يتعلموا ان الخطر محدق بهم وان بيتهم يمكن ان يداهم في كل وقت.

لقد استطاع الغرب ان يقضي على آثار الثقافة الإسلامية شيئا فشيئا وجيلا بعد جيل واستمر الحال كذلك إلى ما بين 1609 و1614 حيث صدرت قوانين الطرد الجماعي كما تدل على ذلك وثائق محاكم التفتيش، بل من المؤرخين من يذهب إلى ان المسلمين استطاعوا ان يحافظوا على أنفسهم إلى مطلع عصر الاستعمار. وعلى اي حال فإن آخر وثائق محاكم التفتيش تعود إلى 1729. ولقد تزامن هذا الأمر مع ضعف الكنيسة الكاثوليكية أمام الدعوة البروتستانتية التي استطاعت أن تنشأ لنفسها كيانًا مستقلًا، فرض نفسه على الكنيسة الكاثوليكية مع الزمن.

دور الفلسفة والثورة الفرنسية

في أواخر القرن الثامن عشر استطاع الفلاسفة ان يقوضوا دور الكنيسة التي كانت تتعاون مع الملوك للسيطرة على خيرات أوروبا. وفي خضم المعركة كان الفلاسفة يستخدمون النصوص التي ترجمها المسلمون، فهذا جان جاك روسو يثني على الإسلام حيث يقول: كان لمحمد رؤية صحيحة لقد أتقن حبكة نظامه السياسي. ولقد كان الإسلام عظيما بتمسك الخلفاء من بعده بهذا النظام الفريد، لكن العرب الذين أصبحوا مزدهرين، يعرفون القراءة والكتابة، مهذبين، ولكن ناعمين وجبناء، تعرضوا للإخضاع من قبل البرابرة. (انظر العقد الإجتماعي1966 ص 173) وقد بنى روسو فكرة التربية الطبيعية انطلاقا من حديث الرسول الكريم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة"، مع سوء الفهم والتطويع، قال روسو: „الإنسان يولد طيبا والمجتمع يفسده". ومن هنا انطلق مهاجما المؤسسات وعلى رأسها الكنيسة. مطالبا بان يترك الفرد للطبيعة كما اوجده الخالق والخالق عند الفلاسفة هي الطبيعة نفسها. لقد فهمت الكنيسة مبكرا وأحرقت كتبه في الساحات واضطر روسو للهرب من بلد إلى بلد وتغيير انتسابه للبروتستانتية إلى الكاثوليكية مداريا بذلك الكنيسة المتعنتة.
لقد كان انتصار الثورة الفرنسية انتصارا للحرية على هيمنة الملوك والكنيسة.

تاريخ الإسلام في أوروبا الشرقية والبلقان

يبدأ تاريخ الإسلام الطويل في أوروبا في القرن الثامن. بعد فترة الأندلس (711-1492)، في شبه الجزيرة الأيبيرية، وإمارة صقلية (948-1091)، استقر في القوقاز، في شبه جزيرة القرم، ثم في البلقان لصالح الفتح العثماني. حتى قبل عبور القوات التركية لنهر إفراس في تراقيا (1371)، تزعُم بعض الروايات أن الدراويش

الجيوفاني قاموا بالفعل بجولات في منطقة البلقان، وقد تم بالفعل تحول السكان المحليين إلى الإسلام ومع ذلك فإن إنشاء الهياكل الإدارية العثمانية منذ القرن الخامس عشر هو ما جعل دخول الناس في الإسلام شائعًا.

يرى بعض المؤرخين الأوروبيين ان الخلافة لم تجعل من برنامجها أو واجبها أبدًا دعوة الناس للإسلام، ولكن الدخول في الإسلام كان ينطوي على سلسلة من المزايا، لا سيما المالية، بينما كان على غير المسلمين أن يدفعوا ضرائب محددة(الجزية) مقابل الحماية التي منحها السلطان. كانوا يخضعون لقيود على حقوق الملكية الخاصة بهم ويحُرمون من الوصول إلى الوظائف القيادية، مدنية أو عسكرية. ومع دخول العثمانيين صار هذا ممكنا.

كانت التحولات سريعة وضخمة في البوسنة والهرسك، حيث أثرت منذ القرن السادس عشر على جزء كبير من النخب. ظاهرة يفسرها بعض المؤرخين بذكرى الكنيسة البوسنية، التي تبنت توجهات كان البابا هونوريوس الثالث ضدها حيث وجه الحملة الصليبية في عام 1225، على طريقة الغرب في التعامل مع تطلعات الشعوب للحرية.

وهكذا لم يكن التحول للإسلام نتيجة الغزو العثماني بقدر ما كان بسبب الذكرى السيئة عن الحملة الصليبية. تفسير سرعة التحول بشكل أساسي يرجعه المؤرخون الغربيون لضعف الهياكل الكنسية، الكاثوليكية والأرثوذكسية, في المناطق المتنازع عليها تاريخياً بين المسيحيين الغربيين والشرقيين، على طول الخط الفاصل للإمبراطورية الرومانية المرسومة في عام 395، ولذلك كان يمكن أن يكتسب الإسلام بسهولة موطئ قدم في البوسنة والهرسك، ولكن أيضًا في الجبل الأسود، يعني المناطق التي كانت المسيحية الشرقية تتنازع عليها مع المسيحية الغربية كما قلنا

من ناحية أخرى، في العالم الألباني، كانت ظاهرة التحول الديني بطيئة وتقدمية. في كوسوفو، في بعض القرى، أعلن الألبان أنفسهم علانية اعتناقهم العقيدة الإسلامية بينما كانوا يمارسون الشعائر المسيحية في الخفاء. الرجال الذين كانوا يمتلكون البضائع ويمررونها كانوا مسلمين، بينما كانت النساء اللواتي تعلمن الأطفال أساسيات الإيمان مسيحيات. في منطقة فيتي / فيتينا، أعلن التسامح الديني في عام 1839 بشخص غولان الشريف، وهو أول مرسوم لإصلاح الإمبراطورية العثمانية، كان له عواقب مأساوية: كان القرويون الذين سبق اعتبارهم مسلمين يعتقدون أنهم يمكنهم من الآن فصاعدا الاعتراف بحرية بالكاثوليكية؛ فكانت هذه الردة التي أدت إلى القمع الفوري ; وقد تم ترحيل سكان بعض القرى إلى الأناضول، على حسب بعض المراجع الغربية

الطابع الوطني للكنائس الأرثوذكسية

في بلدان بلغاريا ورومانيا وصربيا، تم الاعتراف بالكنائس الأرثوذكسية قوية التنظيم من قبل الخلافة كمحاورين، حيث تولوا رئاسة "المجتمعات المحمية" من قبل السلطان، أهل الذمة المعروفون آنذاك بأصحاب الملل، حصل القديس سافا، ابن الأمير الصربي ستيفان نيمانيا، في عام 1219 من بطريرك بيزنطة على اعتراف الكنيسة الصربية المستقلة. وبعد الفتح العثماني في عام 1557، تم استعادة الحكم الذاتي الكنسي الصربي من قبل البطريرك مكاريجي، شقيق أو ابن عم الوزير الكبير محمد باشا سوكولوفيتش، نفسُه من عائلة أرستقراطية على الحدود البوسنية الصربية وكان معتنقا للإسلام. أصبحت هذه الهياكل هياكل وطنية، والتي كانت بمثابة

إطار لتطوير القومية الحديثة، في القرن الثامن عشر وخاصة القرن التاسع عشر. هذا ما يفسر الطابع الوطني للكنائس الأرثوذكسية المختلفة. وهذا ما سيفسر في القرن العشرين الهجمة المباغتة للمسلمين الذين لم يكونوا في نفس الوضعية، فكانت مأساة حرب البوسنة والسرب في التسعينيات

غياب هياكل الدولة في البوسنة، تركت المسلمين منعزلين. كانوا رعايا الخلافة العثمانية، دون أن يكونوا قادرين على الرجوع إلى هياكل مجتمعية معينة، سواء لغوية أو "وطنية". على هذا النحو، ظلوا موالين للباب العالي (الحكومة العثمانية) لفترة طويلة وحتى انهم عارضوا قوميات الشعوب المسيحية، الذين اعتبروا من جانبهم جميع هؤلاء المسلمين "أتراك"، حتى عندما كانوا من اللغة الألبانية أو السلافية

التشريد المستمر للسكان

في العالم الألباني

في العالم الالباني لم يكن من الإمكان تشكيل الهوية الوطنية على غرار النموذج الذي يتبعه المسيحيون الأرثوذكسيون ،كما ان غالبية السكان الألبانيين هم من العقيدة الإسلامية .لقد تم الخلط بين "الألبانية" و "العثمانية": وبهذا الشكل دافع مروجو القومية الألبانية عن وجود ولاء مزدوج ، تجاه الخلافة العثمانية ، "الوطن العام" ، و تجاه ألبانيا ، "الوطن" , خاصة في أعقاب الحرب الروسية التركية في عام 1878 ومؤتمر برلين ، الذي صدق على تقسيم الأراضي العثمانية في أوروبا ، التقى شخصيات من جميع الأراضي الألبانية

للخلافة في بريزان ، كوسوفو ، في 10 يونيو 1878 ، لتأكيد رغبتها في البقاء تحت حكم الباب ، ولكن داخل منطقة موحدة ذاتية الحكم

ويرى الباحثون الغربيون أن "المسألة الألبانية" أهملت من قبل القوى العظمى. تعتبر أول ظهور للقومية الألبانية الحديثة، حيث تتجاوز الانقسامات الدينية. يؤكد المؤرخون الألبان أيضًا على انتماء الآباء المؤسسين "للنهضة الوطنية" إلى الأخوة الصوفية في البكاش، مثل نعيم فراشيري (1846-1900)، مؤلف قصيدة ملحمية طويلة في معركة كربلاء (680)، نقطة الانقسام بين مفهوم تاريخ الإسلام الذي لدى معظم السنة وذلك الذي يشترك فيه الشيعة والصوفية. وهكذا تصبح البكتاشية "عقيدة قومية" متميزة عن الإسلام السني وقادرة على تمييز وجود الأمة الألبانية. يعني أن الألبان يشاركون العثمانيين في العقيدة مع احتفاظهم بنزعة وطنية غذّتها الصوفية البكتاشية

ويقول المستشرق الألماني (كارل سو سهيم) في دائرة المعارف الإسلامية في بحث (أرناؤوط): (وطابع المذهب الشيعي ظاهر كل الظهور في الطريقة البكتاشية الألبانية

في نهاية حرب البلقان الأولى

مع تجدر الدعوة الوطنية الاستقلالية، استطاعت دول البلقان وشعوبها السلافية ان تنفصل عن الخلافة العثمانية وساعدها في ذلك الروس الذين كانوا يعتبرون أنفسهم محامي هذه الوطنيات وخاصة ان روسيا تشاركهم الانتساب للأرثودوكسية. وفي نهاية القرن التاسع عشر شنت روسيا الحرب على دولة الخلافة سنة 1877. ورغم مجيء السلطان عبد الحميد ومحاولاته الإصلاحية من خلال وضع دستور جديد ينص مثلا على المساوات بين جميع رعايا الخلافة، فإن الدعوات الوطنية الاستقلالية زادت فورة وكذلك مطالبة القوة العالمية آنذاك بمزيد من الإصلاحات، وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا والنمسا. لم يحقق الروس حلمهم بجعل إستانبول

قيصرية ولكنهم استطاعوا ان يقطعوا أجزاء من اراضي الخلافة في خلال اسابيع معدودة، حيث ظهرت دول جديدة تحت الهيمنة الروسية: رومانيا وصربيا والجبل الأسود وبلغاريا. بينما أصبحت البوسنة تحت سيطرة النمسا التي كانت تضم النمسا وهنغاريا. ولم تكن المشكلة في خسارة الأراضي، التي كانت تقدر بحوالي 2000 كلم مربع ولكن المشكلة الكبرى كانت في تدفق اللاجئين. ولقد كانت هذه الهجرة هي اول هجرات اللاجئين بالمفهوم المعاصر. جاء في كتاب مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني أن هذه الحرب نكبة من نكبات التاريخ العثماني، فقد رافق خسارة العثمانيين في الأرض، مشكلة هجرة مليون مسلم عثماني من بلغاريا إلى إستانبول، وهذه الهجرة جعلت المسلمين في البلقان أقلية.

في نهاية حرب البلقان الأولى (1912)، كان على الخلافة العثمانية التخلي عن ممتلكاتها الأخيرة في أوروبا. تراجعت قوات السلطان من الهجوم المشترك للجيوش البلغارية واليونانية والجبل الأسود والصربية، في حين أعلن الألبان الاستقلال في 28 نوفمبر 1912 في مدينة فلوري الساحلية.

في المناطق ذات الأغلبية المسلمة، كوسوفا ومقدونيا، حاول بعض القادة (البايات) معارضة جيوش رابطة البلقان، لكن مئات الآلاف فضلوا الذهاب إلى المنفى. في عام 1920، في نهاية الحرب العالمية الأولى، قدرت وزارة الداخلية التركية أنها استقبلت أكثر من 400000 لاجئ؛ أودت الصراعات بحياة عشرات الآلاف. استمرت الهجرة الجماعية للمسلمين من البلقان خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين كجزء من التبادلات السكانية بين اليونان وتركيا، المنصوص عليها في معاهدة لوزان لعام 1923.

بعد الحرب العالمية الثانية

بعد الحرب العالمية الثانية تم توقيع اتفاقيات بين يوغوسلافيا الاشتراكية وتركيا، مما أدى إلى رحيل حوالي 200000 مسلم مقدونيا أو كوسوفو أو سانجاك نوفي بازار. لقد جاؤوا على وجه الخصوص لملء ضاحية بايرامباس الهائلة في إسطنبول. وبالتالي فإن التغيير الجغرافي للمسلمين في جنوب شرق أوروبا قد تغير باستمرار من خلال سلسلة طويلة من الحروب وتشريد السكان، مما أدى إلى التجانس التدريجي للأراضي، حتى لو ظل التعايش بين الطوائف هو القاعدة في كل مكان. علاوة على ذلك، ليست خصوصية البلقان: ظل الوضع متشابهًا حتى القرن العشرين، حيث انتهى في العديد من مناطق الشرق الأدنى حيث كانت هناك مجتمعات يهودية ومسيحية كبيرة.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، تم إنشاء أنظمة شيوعية في جميع بلدان البلقان، باستثناء اليونان، التي سقطت في حرب أهلية. رأت هذه السلطات الجديدة الأديان علامة تخلف يجب محاربتها. خلال العقد الأول من فترة ما بعد الحرب، تم طرد كبار الشخصيات الدينية السابقة واستبدالهم بمزيد من الشخصيات (التصالحية). الجماعية دمرت النخب المسلمة التقليدية، في حين تم تنفيذ سياسات "التعليم" لحظر ارتداء الحجاب. ومع ذلك، سرعان ما حصلت تطورات بين دول حلف وارسو (بلغاريا ورومانيا وحتى ألبانيا حتى عام 1968)
ويوغوسلافيا "المنش: انخراط نظام المارشال تتو في حركة عدم الانحياز، التي عقدت أول مؤتمر رسمي لها في بلغراد في عام 1961، أحدث تقاربًا مع الدول العربية، وقبل كل شيء مع مصر جمال عبد الناصر. وهكذا أصبح النظر إلى المسلمين في يوغوسلافيا كسفراء ذووا قيمة. كما بدأت أسفار الطلاب من البلاد العربية إلى يوغوسلافيا، ومن الطلاب من أجل الدراسات الإسلامية في مصر أو العراق أو سوريا؛ ومساجد جديدة

تخرج من الأرض. في عام 1969، جعل النظام المسلمين البوسنيين أمة من مكونات دولة يوغوسلافيا، إلى جانب السلوفينيين والكروات والجبل الأسود والصرب والمقدونيين. وبالتالي، يمكن للمرء أن يكون "مسلما" بالمعنى القومي دون أن يكون بالضرورة مؤمنًا.

التهميش في ظل الشيوعية

في الستينيات، استمر عدد التلاميذ في مدرسة غازي-هوسريف-بيج في سراييفو في الزيادة، في حين خفت الضغوط على الصحافة الدينية. تم افتتاح كلية الدراسات الإسلامية في سراييفو عام 1977، بهدف مزدوج يتمثل في تشجيع إنشاء مجموعة من الأئمة اليوغوسلاف والحد من التأثيرات الخارجية. شجع النظام على تطوير مجتمع إسلامي مركزي بإحكام تحت قيادة رئيس العلماء في سراييفو، والتي تعمل كعاصمة للمسلمين في يوغوسلافيا، بما في ذلك للمتحدثين الألبان في كوسوفو ومقدونيا.

كان وجود الكوادر الإسلامية المنخرطة في النظام التيتاني إرثًا من العهد العثماني. كما كان يهدف إلى القضاء على أي انحراف واستمرار سيطرة الدولة على الممارسة الدينية. حتى التيارات الصوفية للدراويش الصوفية، المؤثرة بشكل خاص في العالم الألباني، لم تنج من هذه الظاهرة، مع إنشاء، في عام 1974، جماعة من

أمراء الدراويش الإسلامية الرفيعة (Zidra)، والتي تمثل حالة فريدة من تنظيم التصوف الإسلامي من قبل نظام اشتراكي.

علي عزت بيكوفيتش

التيار الإسلامي في البوسنة والهرسك

في الصورة علي عزت بكوفيتش أحد رموز الحركة الإسلامية في البوسنة

وقع القمع على التيار الإسلامي في البوسنة والهرسك، والذي كان له جذوره في حركة الشباب المسلم (ملادي مسلماني)، التي أنشئت في عام 1941 بموافقة النازيين، وكانت تهدف إلى التنديد بتصلب المؤسسات الإسلامية، وتغريب النخب الفكرية، وكانت تدعو إلى العودة إلى الإسلام المبكر. ظهور هذا التيار، الذي تأثر بصدمة الثورة الإيرانية عام 1979، كان كردة فعل تجاه التزام الكنيسة الكاثوليكية الواضح والمعادي للشيوعية تحت إشراف البابا يوحنا بولس الثاني، الذي انتخب عام 1978، للقومية الصربية التي كانت تستيقظ في الأديرة الأرثوذكسية.

الشخصية الرئيسية لهذه الحركة كانت تتمثل في علي عزت بيغوفيتش رحمة الله عليه

، الرئيس المستقبلي للبوسنة والهرسك المستقلة. فهم هذا الرجل وزملاؤه مبكرا هذا الالتزام بين الكنيسة الأرثودوكسية والصرب وخطرها على مستقبل مجتمع التعايش، ولذلك سُجن للمرة الأولى في عام 1972 بعد أن نشر، قبل عامين من ذلك، "إعلانه الإسلامي" الشهير - وهو مزاح مناهض للشيوعية دعا إلى اندماج الإيمان والسياسة من خلال أخذ باكستان كنموذج للدولة الإسلامية - اعتقل مرة أخرى بتهمة "الدعاية الإسلامية" في عام 1983.

على العكس من ذلك، لم تتراجع الضغوط المعادية للدين في بلغاريا أو رومانيا، حيث كان المهمشون بشكل خاص بسبب التطور القومي للأنظمة الشيوعية. وهكذا، بدأت بلغاريا، منذ عام 1984، سياسة "التجديد" الوطنية التي تهدف إلى استيعاب الأقليات التركية، والغجر بالقوة. في عام واحد، كانت أسماء 850،000

شخص "بلغارية"، بينما هاجر ما بين 300000 و400000 مسلم إلى تركيا في صيف عام 1989. تراقيا الغربية، التي ظلت يونانية بعد اتفاقات لوزان، تقدم آخر مثال على التهميش المتعمد للسكان المسلمين: على سبيل المثال كان وصولهم إلى الملكية الخاصة محدودا، وفي نفس الوقت كان القانون المدني لا يزال محكومًا بالمعايير الدينية، بينما ظلت بعض المناطق الحدودية مع بلغاريا محظورة على وصول الأجانب حتى عام 1989.

من جانبها، أعلنت ألبانيا في انفر هودجا نفسها في عام 1967 "أول دولة ملحدة على هذا الكوكب"، وحظرت جميع الممارسات الدينية وأقامت قمعًا عنيفًا: تم إعدام القساوسة والأئمة وشيوخ الدراويش أو إرسالهم إلى معسكرات العمل.

أثر تفكك الدولة الاشتراكية

بعد سقوط النظام الشيوعي في عام 1991 ، كان على جميع الهياكل الدينية إعادة بناء نفسها ، ولَم يكن ذلك ممكنا إلا بمساعدة الأجانب: في التسعينيات ، كانت التوراة والمصاحف من بين المواد الرئيسية التي تم استيرادها إلى ألبانيا ، التي أصبحت "أرض مهمة " جديدة ... ومنذ ذلك الحين ، كانت الدولة الصغيرة دائمًا هدفًا للنضال من أجل التأثير بين التيارات المتطرفة ، وغالبًا ما يتزعمها أئمة شباب مدربون في بلدان ترتبط بالخليج العربي - الفارسي من جهة، والهياكل الرسمية للإسلام ، صاحبة الارتباط الوثيق بقيادة الشؤون الدينية في تركيا ، التي تحاول الدفاع عن مقاربة أكثر تقليدا.

لم تقاوم الجالية الإسلامية في يوغوسلافيا تفكك الدولة الاشتراكية، فكل دولة لديها مؤسسات وطنية. في عام 1993، أصبح السيد مصطفى Cerić رئيس العلماء في البوسنة والهرسك، وسرعان ما أثبت نفسه كشخصية مركزية في الإسلام البلقاني ما بعد يوغوسلافيا. ولقد كان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بحزب العمل الديمقراطي (SDA)، بتشكيل الرئيس عزت بيجوفيتش، كان يعتقد أن تفكك يوغوسلافيا سيوفر الفرصة لتنفيذ عملية إعادة أسلمة عميقة للمجتمع. اصطدم هذا المشروع بواقع حرب الإبادة (1992-1995) وتقسيم البلاد إلى كيانات عرقية وطائفية، تم إحداثها بواسطة اتفاقات دايتون للسلام. لذلك أصبحت إعادة الأسلمة برنامجًا فقط في الجهات ذات الأغلبية البوسنية وحدها.

في هذا السياق، سمحت الهياكل السياسية والدينية بوجود متطوعين إسلاميين أجانب جاءوا إلى البوسنة والهرسك لتقديم المساعدات الإنسانية أو الانضمام إلى صفوف لواء المجاهدين الدولي. هذا الأخير، من التيارات السلفية الدولية، كان لديه نظرة سيئة للغاية على الممارسات الخاصة للإسلام في البوسنة والهرسك، والتي كانت أحيانًا مشوبة بالتوفيق و "استرخاء" المسلمين المحليين. مئات من هؤلاء المقاتلين أسسوا أنفسهم، وغالبًا ما حصلوا على الجنسية البوسنية وقاموا بتطوير أنشطة الدعوة دون التعرض للإزعاج، على الأقل حتى هجمات 11 سبتمبر 2001، عندما بدأت القوات الدولية الموجودة في البلاد بمهاجمة الشبكات الإسلامية. إن تورط هؤلاء الجهاديين في الحرب في البوسنة والهرسك قد تم إخفاؤه أو التقليل من أهميته، لا سيما في المعاملة الصحفية للصراع، وكذلك الاختراق العميق لمذهبهم في المجتمع البوسني. كان من المفترض بسرعة كبيرة أن عملية الزرع الأجنبية هذه لا يمكن أن تتم في إطار "الإسلام المعتدل والمتسامح".

في الواقع، فإن الإسلام الذي تمارسه دول يوغوسلافيا السابقة يحمل في المقام الأول علامة الاشتراكية، التي مكنتها من إيجاد حل وسط محدد مع الحداثة. ومع ذلك ، فإن القدرة التنظيمية والمعيارية للهياكل

الإسلامية الرسمية ، فضلاً عن شرعيتها الروحية ، تحدى كل من الأئمة الشباب العائدين من البلدان العربية وأولئك الذين يستخدمون وسائل الاتصال والشبكات الاجتماعية الجديدة التي أصبحت تنشر الخطب الراديكالية على الإنترنت ، و هكذا تمت محاضرة "الإيمان الحي" الذي صار سمة مجموعات مغلقة في فيسبوك أكثر منه في المسجد ... إن النزاعات العنيفة التي تمزق المجتمعات الإسلامية ، وخاصة في مقدونيا وكوسوفو ، هي في جزء كبير منها صراعات الأجيال ، بين الأئمة القدامى المرتبطين بالنوذج التقليدي، و"المتعصبين" الشباب تحت تأثير العقائد المستوردة من دول الخليج. إنه صراع بين رؤيتين للإسلام الحديث: تلك التي سادت يوغوسلافيا الاشتراكية خلال النصف الثاني من القرن العشرين والرؤية الجديدة "العالمية" التي تفرضها العولمة.

تعليم الدين لأبناء المسلمين

النهضة والبروتستانتية ومحاربة الأمية، مقدمة لفهم وضعية درس الدين في المؤسسات التعليمي

تعريف النهضة

للمصطلح الفرنسي: Renaissance معنى ولادة جديدة أو ولادة ثانية.

في الأدب، الولادة الجديدة هي تجديد، حياة جديدة، تطور جديد.

المرادفات: الظهور، التناسخ، التجديد، القيامة.

جاء في معجم الرائد: نَهْضَة: جمع: نِهَاضٌ، نَهَضَاتٌ. | (الْمَرَّةُ مِنْ نَهَضَ). |1- عَبَّرَ عَنْ نَهْضَةٍ وَاعِيَةٍ: عَنْ قُوَّةٍ، طَاقَةٍ. |2- كَانَ مِنْهُ نَهْضَةٌ إِلَى كَذَا: حَرَكَةٌ، وَثْبَةٌ. |3- النَّهْضَةُ العَرَبِيَّةُ: الاِنْبِعَاثُ، الاِرْتِفَاعُ، التَّجَدُّدُ، التَّقَدُّمُ بَعْدَ التَّأَخُّرِ وَالاِنْحِطَاطِ- عَرَفَتِ البِلاَدُ نَهْضَةً عِلْمِيَّةً.

عصر النهضة هو فترة بين العصور الوسطى والفترة الكلاسيكية، من نهاية القرن الرابع عشر إلى بداية القرن السابع عشر، والتي شهدت تحولًا عميقًا وتجديدًا اجتماعيًا وثقافيًا وفنيًا عظيمًا في أوروبا الغربية. ظهرت في إيطاليا، ووصلت فرنسا، ثم بقية أوروبا.

استخدم مصطلح "النهضة" في عام 1855 لأول مرة من قبل المؤرخ جول ميشيليت (1798-1874) لاستحضار "اكتشاف العالم والإنسان" في القرن السادس عشر. قام المؤرخ السويسري جاكوب بوركهارت (1818-1897) بتوسيع مفهوم النهضة في عام 1860 في كتابه "حضارة إيطاليا خلال عصر النهضة" (1860)، لجعلها بداية الإنسانية والوعي الحديث.

تعود أصول عصر النهضة إلى النمو السكاني، وتطوير التقنيات (الطباعة) والتجارة، والتحضير وظهور برجوازية تجارية. أدت التغييرات في المجتمع والاقتصاد إلى تغييرات سياسية كبيرة مع نهاية الإقطاع لصالح مفهوم الدولة والمؤسسات المركزية.

على عكس علماء العصور الوسطى الذين لم يروا سوى الجهل والهمجية، رأى مفكرو عصر النهضة، الذين يطلق عليهم إنسانيين، في العصور القديمة فترة من الضوء واشادوا بمجد الحضارات اليونانية الرومانية.

العودة إلى ما قبل المسيحية

النهضة كانت دعوة للعودة إلى ما كان قبل الدين، اي إلى النصوص اليونانية القديمة. ومما واكب الدعوة إلى النهضة العودة إلى البروتستانتية، وهي دعوة ركزت على القضاء على هيمنة القساوسة والرهبان، كان من اهم خصائصها كتابة الأناجيل باللغات القومية، وإزالة الهيمنة من الراهب ونقل الدعوة الدينية من رحاب الكنيسة إلى البيت، حيث يصبح الوالد في البيت هو من يقرا النصوص وليس الراهب في الكنيسة. وبطبيعة الحال كان من نتائجها التعليم أو بالأحرى محاربة الأمية لان ذلك كان ضروريا لقراءة النصوص الدينية.

فبعدما كان أكثر من 90 % من النصارى اميون لا يعرفون القراءة والكتابة، أصبح الناس يتعلمون اللغة القومية ويقرؤون الإنجيل.

هذا كان بداية التعلم بعد العصور الوسطى، ونحن هنا نركز على أواخر القرن السادس عشر. وهذا لا يعني أن كل الناس أصبحوا متعلمين، ولكن الآباء فقط اي الرجال. وليس النساء. فلم يكن بعد للبنات حظ من الدراسة. الأدلة على ما أكتب كثيرة لا أكلف نفسي العناء لإثباتها فلا ضرورة لذكرها فهي مقررة عند الكتّاب الأوروبيين.

ولقد تزامنت حركة محاربة الأمية والتعليم في المدن، خاصة في أوروبا الشمالية مع ظهور الطباعة في بعض المدن في منتصف القرن الخامس عشر، حيث نشطت الدعوة البروتستانتية لمدة قرن تقريبا إلى أن تحركت الكاثوليكية بعد النصف الثاني من القرن السادس عشر 1560 تقريبا لاستعادة هيمنتها. تمخض عن هذا الصراع بين المذهبين ظهور نوع جديد من المؤسسات التعليمية: هذا النوع هو الجمنازيوم، وهو ابداع بروتستانتي بامتياز. وقد كان يعتبر خطرا على النظام. وهذا النوع من المؤسسات امتد ليشمل كل الأعمار ابتداء من سن السادسة إلى المستويات العليا التي تدرس التربية البدنية وغيرها من الفنون. وكان هذا النوع من المؤسسات منتشرا خاصة في مناطق التماس بين الكاثوليك والبروتستانت. في اليونان القديمة، كانت الصالة الرياضية هي المكان الذي يتلقى فيه الشباب الذكور تعليمًا بدنيًا ومن جهة أخرى كان الشبان يتدربون عراة، وهذا يفسر سبب تسمية هذه المؤسسات بالجمنازيوم، أي المكان الذي يكون فيه المتدربون عراة.

وهذا تفسير في العصر الحاضر كذلك لسبب التدريب عند التحاق الطلبة الجدد في بعض البلاد بهذه المؤسسات، فغالبا ما يطلب الطلبة القدامى من الجدد ان يتعروا، لازال هذا التقليد معروفا في جل هذه المؤسسات.

لقد كان التدريس في هذه المؤسسات لازال باللغة اللاتينية سواء في جهة الكاثوليك أو البروتستانت.

وكان التعليم شديدا مع قلة العطل والتشديد على السكن الداخلي. وكان التعليم يعتمد على الكتب، مما دعى الفيلسوف الفرنسي مونتين إلى ان يقول: إن هذه المؤسسات تخرج حميرا يحملون كتبا.

واستمر الأمر على ذلك خلال القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، مع بداية إرسال الصناع والتجار وبعض الفلاحين الميسورين أبناءهم إلى هذه المؤسسات.

أما فترة ما قبل الثورة الفرنسية فقد عرفت بعزوفها عن محاربة الأمية، فقد كان فولتير مثلا يقول لسنا بحاجة لأكثر من ريشة لكل 200 إلى 300 نفس.

وكانت الثورة الفرنسية كنموذج للتحرر في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر 1789..

فبعدما كانت الشعوب تحت الحكم العثماني لا تطلب أكثر من ضمان الهوية الدينية والتي كانت دائما مضمونة، أصبحت الشعوب تسعى لاستقلالها. ولكن هذه الاستقلالات المزعومة سوف تصطدم بعد الحرب العالمية الأولى بالهيمنة البلشفية، مما سيدخلها في سراديب التقوقع بسبب النظام الشيوعي الذي سلبها حريتها. وبعد سقوط هذا النظام، ستتعالى أصوات الوطنية والشعوبية وسيكون أول ضحاياها شعب البوسنة الذي كان أكبر ضحية في آخر عقد من القرن العشرين.

تعميم التعليم

كان تعميم التعليم في الأندلس من الأمور البديهية عند أمة اقرأ، بل يؤكد المؤرخون ان الأمية زالت في عهد الحكم الإسلامي. ولكن تعميم التعليم الذي اتى في القرون المتأخرة، لم يكن يهدف لإخراج الناس من الأمية بقدر ما كان تعميم البعد عن الكنيسة وتعميم أفكار تجعل الناس سواسية ليسهل التعامل معهم كذلك والسيطرة عليهم عن طريق تعميم درس التربية الوطنية مثلا.

بدأ تعميم التعليم الابتدائي مع مطلع القرن التاسع عشر ولم يظهر التعليم الإجباري إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. ولقد كانت ثورات 1848 حدا فاصلا، حيث وقع الملك فريديريك 7 أول دستور في الدنمارك في السنة الموالية1849 (كان

ذلك ثورة ناعمة حيث استطاع الملك الدانماركي أن يتلافى دموية الثورة الفرنسية فتنازل للشعب بوضعه لأول دستور ستعرفه الدنمارك.).

في الحقيقة اسست لجنة سنة 1789 بالدنمارك من اجل تحديث التعليم في المدرسة الدنماركية، وجاء قانون 1814ليحدث نوعا من التوافق بين المجددين الأغنياء والمحافظين الدينيين. بحيث أصبح تعليم الحساب والكتابة إلى جانب تعليم الدين ودروس التربية الوطنية والإخلاص للملكية وتاريخ الدنمارك. وكانت مدة الدراسة سبع سنوات مع بداية سن السابعة إلى سن التأكيد على الهوية النصرانية 14سنة. كما كان النظام شديدا والعقوبات جسدية والمعلم يقف امام 30 من التلاميذ، وقد بدا تكوين المعلمين بأول مدرسة للمعلمين في الدنمارك سنة 1791: بلوكورد سيميناريوم، - لقد كان لي الشرف أن درست منتسبا بهذه المؤسسة في تسعينيات القرن الماضي لمدة سنتين-

بعد هذه المقدمة يمكنني ان أضعكم في الصورة التي ظهر فيها درس الدين.

وضعية درس الدين وتطوره في السنوات الأخيرة.

في ألمانيا هدف درس الدين هو التفكير

"أحد الموضوعات الرئيسية في التعليم الديني الإسلامي هو هدف تمكين الأطفال المسلمين من التحدث عن معتقداتهم ، ليعكسوا أنهم يعيشون في مجتمع تعددي ، لكن هناك أيضًا تنوعا بين المسلمين" هكذا يوضح الأمر أحد المسؤولين عن التعليم الديني في وزارة التعليم في هيسن، إحدى الولايات الألمانية ، ما يلي:

أولاً، من منظور اجتماعي، من المهم جدًا ألا يكون الطلاب أميين دينًا؛ ثانياً، أن طلاب العقيدة الإسلامية الذين نشأوا هنا، يعرفون ماذا يوجد في القرآن، ويستطيعون الاستدلال كما يستطيعون التفكير في دينهم ".

أما في الدانمارك مثلا فلا يحصى الدين الإسلامي بحصة خاصة في برامج التعليم، وذلك يرجع لأسباب عدة، منها أن حرية إنشاء المدارس الحرة، تعطي للمسلمين كما تعطي توفر لغيرهم فرصة تعليم دينهم.

أما في المدارس الابتدائية الرسمية فإن أحد الأهداف الأساسية للمدرسة الابتدائية هو تزويد الطلاب بالمعرفة والمهارات بالتعاون مع أولياء الأمور. تعتبر مواد ومواضيع المدارس الابتدائية أساسية لتحقيق هذا الغرض، ومن خلال مواد التدريس والمواد الدراسية يجب أن يتكون لدى الطلاب الرغبة في المزيد من التعلم. يجب أن تساهم مواد ومواضيع المدرسة الابتدائية أيضًا في تعزيز التنمية المتنوعة للتلميذ وإعداد الطلاب للمشاركة والمسؤولية المشتركة والحقوق والواجبات في مجتمع الحرية والتسيير الديموقراطي.

في إطار هذا الفهم، نستطيع أن نفهم وضعية درس الدين الذي لازال يحمل اسم: "درس المسيحية" وليس درس التربية المسيحية أو الدينية.

فهذا الدرس لا يريده القائمون على الأمر درسا دعويا دينيا، ولكن درسا فلسفيا وأخلاقيا يعتمد على التفكير الحر والنظرة النقدية. وفِي هذا السياق يمكن أن نفهم لماذا أُدرج الإسلام في حصة درس المسيحية.

يجب على الطلاب في درس المسيحية اكتساب المعرفة والمهارات التي تمكنهم من فهم وربط أهمية البعد الديني بتجربة الحياة الفردية وعلاقة الفرد بالآخرين.

تعامل الأولياء المسلمين مع درس الدين

لازال من الأولياء من يمنع أطفاله من المشاركة في درس المسيحية في المدرسة الدانماركية، ويتفقون مع المدرسة على نشاط مواز. وهؤلاء غالبا ما يسعون إلى تعليم أبنائهم تعاليم الإسلام إما في البيت بشكل تلقائي، أو في المسجد أو الجمعية. هؤلاء لا شك يفوتون على أبنائهم فرصة تعلم أساسيات المعتقدات الأخرى، ولا يعطون

لأبنائهم الفرصة لتعلم قرع الحجة بالحجة، وحجتهم في ذلك أن هذا نوع من التلاقح الذي يشوش على الأبناء عقيدتهم.

أما في ألمانيا فقد سعت جل الولايات إلى تكوين معلمين من أصول إسلامية لتعليم الدين الإسلامي بحسب الرؤية التي تناولناها سابقا.

النمو اللغوي

لا حياة بدون تواصل واللغة هي الوسيلة الأساسية في التواصل، ولذلك فهي وسيلة التعبير عن المشاعر والأفكار والحاجات.

إن الحوار الدائم مع الطفل هو الضامن لتفتح ونمو القدرة اللغوية، وكلما كان ذلك مبكرا كانت النتيجة أفضل، والتبكير هنا معناه التواصل مع الكائن الصغير منذ الولادة. وهذا التواصل يكون عن طريق الحواس كلها، فرغم ان القدرة على البصر متأخرة على السمع فإن التوجه لحاسة السمع بالكلام منذ اللحظات الأولى يكون له الأثر الأكيد لأنه بداية تسجيل الأصوات التي تكون الكلام.

ومن السن بعد الولادة مباشرة الأذان في الأذن اليمنى والإقامة في الأذن اليسرى. ومن هنا يظهر ان الحوار مع الرضيع يكون بلغة سليمة من أول يوم، حيث يتعود المولود على أصوات لغة الأم.

وبطبيعة الحال فإن الأم تقوم بالتجاوب مع المولود عبر إجابة رغباته والاستجابة لمشاعره وتضع على كل حركة اسما او جملة معبرة عن فعلها او استجابتها..

إن هذا الوعي اللغوي المبكر، يجعل من الطفل كائنا قادرا على الدخول في المجتمع الذي تمثله لغة الأم. فاللغة إحدى المظاهر الأساسية في المجتمع وهي التي تحمل الثقافة.

إن التعامل مع الطفل على اساس انه كائن لغوي خطوة أساسية في تكوين شخصيته.

إن التعامل مع الطفل عند المداعبة بأصوات لا معنى لها يفوت عليه فرصة التعلم، ولذلك وجب على الأولياء وخاصة الأم التكلم بشكل واضح ومخاطبة رضيعها بعبارات مختارة بدون استخفاف بالطفل وبدون تنطع، فاللغة التي يجب ان يتعلمها الطفل هي لغة المجتمع الذي ينتمي إليه بدون زيادة ولا نقصان ولا تحويل متكلف.

وبطبيعة الحال فإن اللغة تنمو كما تنمو باقي مظاهر المجتمع ولذلك يجب الحرص على ان نعلم ابناءنا لغة حية أي مستعملة في الحياة اليومية.

وعند نمو حاسة البصر على الأم ان تستعمل إلى جانب الكلام الحركة المعبرة عن المشاعر كالابتسامة وتحريك الحواجب أو استعمال الأصابع او عرض بعض الأشياء التي يقع عليها بصر الطفل مضافة إلى الكلام.

وهكذا تتدرج الأم في تعليم مولودها من السمع إلى البصر متجاوبة مع حاجاته ومشاعره. إن التدرج في مخاطبة الحواس من السمع إلى البصر أمر طبيعي فهو يوافق النمو الطبيعي للإنسان. ولقد ذكر السمع أولا مقرونا بالبصر ثانيا في كل الآيات القرآنية التي ذكرتهما معا وهذ الأمر نستأنس به عند الحديث عن النمو اللغوي ومن تلك الآيات قوله تعالى:

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

36-الإسراء 17

نخلص إلى ان تعليم لغة الأم مفتاح للدخول إلى الثقافة ولذلك على المسلمين ان يعيروه كامل الاهتمام

الهوية الدينية والثقافية والاجتماعية

اللغة هي التي تحمل الهوية الدينية والثقافية وتعبر عنها، فكل كلمة وكل جملة وكل تعبير يحمل في طياته مكونات الهوية ولا يستطيع فهم هذا الرصيد إلا من يفهم اللغة. فاللغة ليست أصواتًا تسمع ولا أشكالا تقرأ وإنما هي مجموع الرموز المقروءة والمسموعة والإيماءات التي ترافقها في حركات الوجه خاصة والجسم عامة.

فعندما يتعلم الطفل ألفاظا جديدة إنما يتعلم محتواها والإشارات التي ترافقها ومضمونها الحضاري والثقافي والديني. فكل لفظ يحمل في طياته تاريخا وحضارة ومحتوى روحيا ودينيا أو كل هذه مجتمعة. فاللغة وليدة المجتمع وهي من المظاهر الواضحة بل هي أول ما يميز حضارة من الحضارات إذ ان اول ما يلفت النظر عند اللقاء تلك الأصوات المتبادلة بين ابناء لغة واحدة. وبطبيعة الحال فإن اللغة من أهم العوامل التي تحافظ على تماسك المجتمع ولذلك أصبح الاعتناء بتعليمها من أهم اهتمامات الحكومات. وكلما فرط قوم في لغتهم، كلما ابتعدوا عن خصائص ثقافتهم ودينهم. ولقد عمل المستعمرون على إبراز ثقافات الأقليات في المجتمع الإسلامي بالتركيز على تعليمهم لغة الأم عوض اللغة العربية وكان ذلك من أواخر المسامير في نعش النسيج الاجتماعي للأمة.

تعليم لغة الأم أمر لا باس به ولكن المشكلة تكمن في تغييب اللغة العربية وحرمان ابناء المسلمين من تعلمها. ومن اهم ما تجدر الإشارة إليه ضرورة تعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين في الغرب. إن العمل على إنشاء صفوف لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين من اوجب الواجبات في ديار الغرب. إذا لم تقم به مجموعة وقع الإثم على جميع الأمة. ولقد بادرت كثير من الجمعيات إلى الاضطلاع بهذا الواجب في وقت مبكر وأصبح من الضروري دعم المؤسسات التي أنشئت لهذا الغرض. ومن أوجب الواجبات حرص الوالدين في ديار الغرب سواء كانوا عربا أم لا على تسجيل ابنائهم في هذه المؤسسات. ومن واجب القائمين عليها تطويرها ووضع برامج تتماشى مع كافة الفئات العمرية والحرص على التكوين المستمر للمعلمين والحوار الدائم مع الأولياء لتحصل الاستفادة من التعليم.

ومن الأمور التي تحرص عليها هذه المؤسسات إقامة الحفلات وإحياء المناسبات بشكل يليق بمستوى العيش في بلدان الغربة. إن هذه الحفلات تعوض الأبناء عن النقص الاجتماعي الذي يشعرون به في الغربة وتجعلهم أكثر وعيا والتحاما بالثقافة الإسلامية التي ينتمون إليها.

وهذا الأمر يقوي شخصية الأطفال ويجعلهم أشخاصا ناجحين في مجتمعاتهم لأن الأرضية الأسرية والانتماء الجماعي ضروري لكي يقوموا بواجباتهم في مجتمعاتهم الجديدة متعددة الثقافات. ومن هنا يكون اندماجهم اندماجا بناء ولا يصبح ذوبانا.

درس التربية الدينية أو المسيحية في المدارس الحديثة

لقد تغيرت تسمية هذه الحصة مع تعدد الثقافات في المجتمع الأوروبي

في الأول كان اسم الحصة الرسمي في جل البلاد الأوروبية درس المسيحية، ثم صارت التسمية درس الدين وكان التركيز في الحصة على المسيحية واليهودية والإسلام بصفتها البيانات الموحدة.

وفي مرحلة ثالثة صارت التسمية الثقافة الدينية مضيفين إلى ذلك البوذية وغيرها.

في صل هذه التغيرات كان للأولياء المسلمين مواقف متطورة كذلك، ففي البداية كانت المقاطعة لدرس المسيحية بحجة أن أبناء المسلمين ليسوا مسيحيين. وبالمقابل كان التلاميذ المسلمون في البلاد التي تعاطت مع الأمر بليونة، يخرجون من الحصة ويشتغلون بتمارين أخرى في المكتبة أو مكان آخر في المدرسة.
ومع تطور التسمية والمحتوى صار الأولياء يتساهلون في حضور أبنائهم، ومن الملاحظ هنا أن الأحزاب المتطرفة صارت تدعو إلى ضرورة تعليم أبناء المسلمين المسيحية.

وتجدر الإشارة إلى أن وجود أبناء المسلمين في درس الدين خلال الحصص التي يكون موضوعها يتعلق بالإسلام، فإن هؤلاء الصغار يصبحون رسلا موضحين لأقرانهم حقيقة ما يعيشون في أسرهم.

تعليم اللغة العربية

في البلاد التي لا تساند تعليم لغة الأم، يأخذ الأولياء أعباء التعليم على عاتقهم، كل حسب الإمكانيات المتوفرة. هناك بعض الأولياء الذين يجتمعون من اجل تنظيم حلقات التعليم الأسبوعية مرة او مرتين، وغالبا ما يرتبط درس اللغة العربية في هذه الحالات بدرس التربية الدينية أو تحفيظ القرآن الكريم. في هذه الأحوال يتم اختيار المدرسين والمدرسات من بين الأولياء وغالبا ما يكون هؤلاء من غير أهل التعليم ويكون ذلك تطوعا. وقد عمل بعض الكتّاب على تطوير الكتب المدرسية لمختلف المستويات، ومع ذلك فإن ضعف الإمكانيات وعدم معرفة القائمين على الأمر بأساليب التعليم عامة والنمو اللغوي خاصة، بالإضافة لتعدد الأعمار والمستويات في الصف الواحد.

شيخوخة السكان

أبناؤنا كنز ساقه الله إلى سكان هذه البلاد، لأنهم سيضطلعون في المستقبل بمسؤولية أداء تقاعد الشيوخ، والاعتناء بهم، وإن في ديننا من الحيوية والأخلاق ما يجعل أبناءنا قادرين على ذلك. التوالد خاصية لا يعرفها دين كما يعرفها الإسلام ويحببها للمسلمين. أبناؤنا أمل هذه الشعوب التي قدمت الفرد على الأسرة وجعلته محور الحياة عوض ان تكون الحياة الجماعية هي المقدمة،

وكان من مساوئ ذلك انخفاض عدد السكان، انظر على سبيل المثال الهرم في صفحته الأصلية، صفحة إدارة الإحصاء الألمانية

الهرم السكاني

الهجرة المرتفعة الحالية لها تأثير محدود جدا على الاتجاهات السكانية على المدى الطويل. ويتجلى ذلك خاصة في زيادة لفترة قصيرة في عدد السكان. الاتجاه نحو شيخوخة السكان بالتالي لا يمكن عكسه. فمكتب الإحصاءات الفدرالي ذكر كذلك، أن الهيكل العمري الحالي للسكان على مدى العقود الثلاثة المقبلة سيتأثر بشكل أقوى من صافي التدفقات الداخلة إلى ألمانيا والخارجة منها.

الهجرة (الصافية) عالية، ومع ذلك، الفارق بين عدد السكان في سن صغيرة وعددهم في السن المتوسطة كبير جدا. ولا يمكن تقليص وثيرة الشيخوخة بما يتوقع من صافي الهجرة.

عدد السكان من فئة 67 عاما او أكثر، من المتوقع أن يرتفع إلى 21.5 مليون شخص على الأقل بحلول عام 2040. وهكذا سيكون أعلى بقدر 6.3 مليون أو 42٪ من السكان حيث بلغ عدد الذين تتراوح أعمارهم 67 عاما او أكثر في عام 2013: 15.1 مليون.

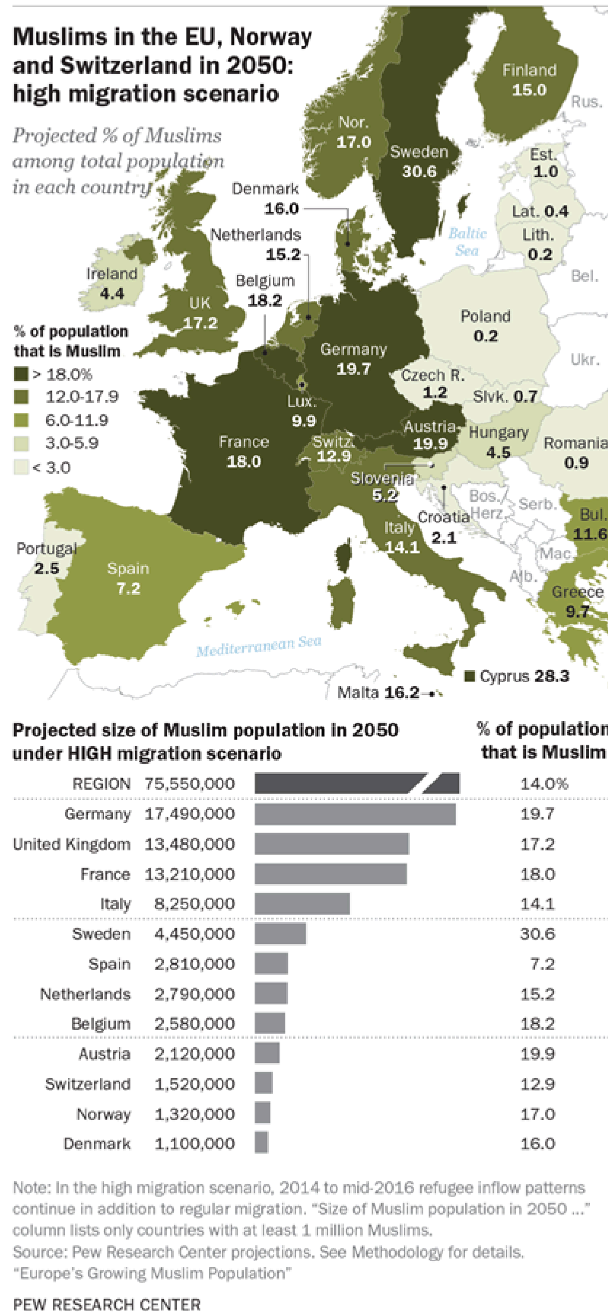
عدد السكان من فئة 20 إلى 66 عاما من العمر سوف ينخفض، في جميع الاحتمالات. ومع ذلك، فسوف تستفيد هذه الفئة العمرية، بفعل صافي الهجرة، أكثر من باقي الفئات العمرية الأكبر سنا. ومن المؤكد انه بدون مكاسب الهجرة، عدد الذين تتراوح أعمارهم بين 20- إلى 66 عاما سينخفض حتى عام 2040 إلى حوالي 13 مليون أو ربع ما كان عليه خلال عام 2013. للتعويض عن هذا الانخفاض، لابد أن نفهم أن مكسب الهجرة من الأعمار بين 20-66 سنة (حوالي 470000 شخص سنويا) سيكون حاجة دائمة

أثر تطور عدد السكان

سيكون من أبنائنا الطبيب والممرض والمساعد، وسيكون منهم العامل والباحث والبناء، لقد أصبحنا جزءا من هذا المجتمع، علينا ما على المواطنين الآخرين فلنفرح بإنجازاتنا ولنسعد بالأعمال الجليلة التي نقوم بها. ولا تستمعوا لبعض السياسيين الذين يلعبون بمستقبل البلاد والعباد لمصالحهم الضيقة. لمزيد من التعرف على النمو السكاني في ألمانيا وباقي أوروبا الغربية، انظر تطور الهرم السكاني.

موقع مركز البحوث PRC

https://service.destatis.de/bevoelkerungspyramide/index.html#!y=2007&v=2&b=1912



للتعرف على عدد المسلمين في أوروبا

موقف المسلمين من أعياد غيرهم

كمثالPfingsten عيد العنصرة

يقع هذا اليوم خمسين يوما بعد عيد الفصح

ليس من الخطاء أن يتعلم أبناؤنا ثقافة جيراننا، ولكن من الخطاء تقصيرنا في تعليمهم ثقافتنا
ومنها تعليم عقيدتنا. إن من الأمور المسلمة عند المسلمين احترام عقيدة الآخرين ولذلك يجب أن يتعود ابناؤنا
على الحوار الهادئ الذي يظهر العقيدة ولا يحتقر الآخر
وفي تقاليد المجتمعات النصرانية، يرتبط يوم العنصرة بقدوم فصل الصيف، فهو يوم فارق بين الطقس البارد والصيف الحار
ومن العادات ورموز هذا العيد ما يلي:
الخروج للنزهة حيث تحضر الشباك وتملأ بالأطعمة وتخرج الأسر مجتمعة للنزهة
, ويرى هذا اللون في اختيار الحمام البيض كرمز للنور الذي يصحب الصيف
لباس العنصرة وهو لباس مائل إلى البياض، ووضع قبعة نباتية كدليل على الفرح بقدوم الصيف
ومن العادات جمع الورود واتخاذ الأكاليل النباتية وتزيين البيوت بها

أما إشعال النيران والرقص حولها فهو للفرح باجتماع الشباب قبل الانطلاق للدعوة للمسيحية. وهذا الأمر يتكرر كلما كانوا يُعِدون لحملة دعوية أو ما يشابهها.

وهنا يمكن ان نفهم الأصل الديني لهذا التقليد. في الاحتفال بالنار وسُرادقها تذكير بنزول روح القدس، حيث تروي القصة أن الحدث كان مثل العاصفة وأن سرادق من نار قد تبعته

الغاية من نزول روح القدس كانت في اعتقاد النصارى هي تعليم أصحاب المسيح عليه السلام لغات الأرض، كي يستطيع الشباب بعدها الانطلاق إلى الدعوة

يعتقد النصارى أن يوم العنصرة يوم عيد، يذكرهم باعتقادهم أن روح القدس، جبريل عليه السلام، حسب المعتقد عندهم، نزل بعد معراج المسيح عليه السلام وعلم أصحابه اللغات، وفي الأصل هذا معتقد اليهود كما في سفر التكوين، حيث نقرأ في إنجيل لوقا ما يلي

ثم تم الوفاء بها عندما حضر يوم الخمسين، وكانوا جميعا في مكان واحد. (3 سفر التكوين 23:15) 2 ونزل من السماء صوت كما عند هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين

: أما عند المسلمين فإن الاعتقاد بنزول روح القدس من صميم العقيدة قال تعالى

سُورَةُ البَقَرَةِ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ٨٦

مشاركة بواسطة تطبيق المصحف الجامع
https://ourlink.me/jamequran

أما طريقة النزول وما تُخلِّف، فإن الصحابة لم يلاحظوا نارا ولا عاصفة

فإن الحديث الشريف يحدثنا عن صلصلة تشبه صلصلة الجرس، لا يسمعها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صلصلة الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي،

فَأَعِي مَا يَقُولُ ". قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَ: وَلَقَدْ رَأَيْته يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

صحيح البخاري 3215

أما تعليم روح القدس فقد كان للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن بشكل مباشر للصحابة

وبالنسبة للغات فإنها من المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ" الروم30-" 22

وفي هذا المقام يمكن ذكر تعليم الأسماء لأبينا آدم عليه السلام

"وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هؤلاء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "

تعلم العقيدة واجب وتعلم عادات الناس فضل

يعيش أبناؤنا في هذا المجتمع المتمدن عن النصرانية، حيث يتعلمون بشكل تلقائي عادات ومعتقدات النصارى وغيرهم. وواجبنا ان نعلمهم عقيدتنا، سواء تعلق الأمر بهذا اليوم او غيره، وذلك من أجل تكوينهم من الناحية العقيدية، فهذا من صميم الإيمان.

إن من الأمور السليمة في تلاقح الثقافات، أن يعرف كل طرف حدود ثقافته ورموزها، فعلى سبيل المثال، إذا أراد أبناؤك إشعال النار فنبههم أن هذا رمز ديني يتعلق بعقيدة أخرى، ويجب أن يكون ذلك بكل محبة لكي يحصل القبول.

وليس من الخطإ أن يتعلم أبناؤنا ثقافة جيراننا، فهذا فضل يجعلهم أكثر فهما للناس من حولهم، ولكن من الخطإ تقصيرنا في تعليمهم ثقافتنا ومنها تعليم عقيدتنا. إن من الأمور المسلمة عند المسلمين احترام الآخرين ولذلك يجب أن يتعود ابناؤنا على الحوار الهادئ الذي يظهر العقيدة ولا يحتقر الآخر.

بطبيعة الحال نحن نؤمن أننا على الحق ولكن هذا لا يعطينا الحق للاستهزاء بالآخرين، فقد علمنا القرآن ان لا نفعل ذلك

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا" مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فأولئك هُمُ الظَّالِمُونَ" الحجرات 49-11

ومن الأمور التي تثير الانتباه في هذا المقام انه يوم انطلاق الدعاة لبلاد مختلفة، وهذا يجعلنا امام "مسؤولية الدعوة الإسلامية فالقرآن يقول في سورة آل عمران 3-104



جاء في التفسير ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير» الإسلام «ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك» الداعون الآمرون الناهون «هم المفلحون» الفائزون و "من" للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل وقيل زائدة أي لتكونوا أمه.

وفي الحديث

ٌ يا رسولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حتى يكونوا مثلَنا؟ فقال: انفُذْ على رِسْلِكِ حتى تنزلَ بساحتِهِم، ثمَّ ادعُهُمْ إلى الإسلامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليْهِم مِنْ حقِّ اللهِ فيه، فواللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رجلًا واحدًا، خيرٌ لَكَ مِنْ أنْ يَكُونَ لَكَ حمر النَّعَم.

فالغاية من الدعوة ليست إخضاع الناس ليكونوا كالمسلمين تماما، فهذا اصلا يخالف الدين الذي يرى في الاختلاف آية. وهذا ما نستقرأ من تاريخ علاقة غير المسلمين بالحكومات الإسلامية الراشدة، انظر ما كتبناه عن علاقة النصارى في أوروباز الشرقية والبلقان بالحاكم العثماني.

التحديات التي تواجه المرأة

النظام الأبوي

من المظاهر المشينة في بعض البيوت أن بعضا من الرجال يسيئون فهم القوامة التي نص عليها القرآن في قوله: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" النساء 4/34

بعض المسلمين في أوروبا يقرأون الآية ولا يرون الفارق بين وضعية المرأة في العصر الحديث وبين أسباب نزول هذه الآية. المرأة اليوم امرأة عاملة خارج البيت وداخله، فهي مضطرة في كثير من الأحيان للخروج من أجل المشاركة في تسديد الأعباء المادية. ومن هنا يصبح التفضيل المنوط بسبب الإنفاق مفقودا.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك ". قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (الرجال قوامون على النساء) إلى آخرها. ولعل هذا الحديث مرتبط بالفراش، ولكن يجب أن لا يأخذ هذا الحديث منفصلا عن غيره من الأحاديث التي تنص على المداعبة وتقديم الشراب وغير ذلك مما يجعل المرأة راغبة في الفراش كالزوج.

أما الضرب فقد نهى عنه الرسول بقوله:" ما بال الرجل يجلد امرأته جلد العبد، ولعله يضاجعها في آخر يومه" حديث متفق عليه.

بالإضافة إلى هذه النصوص فإن على الرجال المسلمين الالتزام بالقوانين التي تمنع العنف في الحياة الزوجية مما لذلك من أثر طيب على البيت وخاصة على الأطفال. فالبيت المسلم يجب أن يكون بيتا هادئا تسوده المحبة

والتفاهم والتعاون، وليس السطوة والعنف وتجريد الآخر من حق المناقشة وإبداء الرأي، مما يفسد الحياة ويكبت المبادرة ويُكوِّن جيلا من الإمَّعات وليس جيلا قادرا على تحمل المسؤولية والإبداع.

يجب على المسلم أخذ الدين في شموليته ومن ذلك ما يخص هذا المقام: أن يكون لطيفا مع الأطفال مداعبا لهم مشاركا لهم في اتخاذ القرارات التي تتعلق بأنشطة البيت، وكذلك للمرأة الحق في تأثيث بيتها واختيار ما يناسب ذوقها من أثاث وفراش. كما أن للمرأة حق التصرف الكامل في بيتها وفي مالها، وليس للزوج أن يمنعها من أن تمارس التجارة وغير ذلك من الأعمال الاقتصادية او الوظيفية.

الزواج المختلط

رغم أن الإسلام أباح للذكور من أبناء المسلمين الزواج من الكتابيات فإن هذا الأمر من التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة في أوروبا. ويختلف الأمر من بلد إلى بلد بحسب عمق وقدم العلاقة بين المسلمين وغيرهم، فإن الزواج المختلط عند البوسنة أو سكان البلقان عمومًا، أمر معتاد، ولكن الأمور تغيرت بعد حرب الإبادة التي شنها الصرب في تسعينيات القرن الماضي. أمّا في غرب أوروبا فقد حرم فقهاء المسلمين في الأندلس، وخاصة في مناطق التماس وفي فترات الحروب حيث يموت الشباب، زواج ذكور المسلمين من الكتابيات لما في ذلك من حيف في حق المسلمات، لقد كان الزواج المختلط سبباً في عنوسة الفتيات المسلمات، ولذلك أوقفت فتوى الفقهاء العمل بهذا الحكم الحلال لفترات متكررة.

أما في العصر الحديث فإن أبناء المسلمين أصبحوا يتزوجون من كل أنحاء العالم، وقد ساعد على تسهيل هذا الأمر الشبكات الاجتماعية من جهة وسرعة التنقل، بالإضافة إلى ان الشباب المسلم أصبحوا يتقنون اللغات

وخاصة اللغة الإنجليزية التي يتكلمها جل شباب العالم. بالإضافة إلى أن الشباب لا يجدون قريبا منهم من ينصحهم فيذهبون في لحظات بعيدا ليسألوا من يفهم وضعيتهم.

لا شك أن من الأمور التي تجعل الزواج عرضة للفشل اختيار الزوجة او الزوج من البلاد الأصلية، وهذا يجعل الأسرة في خطر وخاصة عندما يكون الطرف القادم من البلاد الأصلية غير قادر على التأقلم مع البيئة الجديدة لا ماديا ولا وعلميا ولا اجتماعيا. إن عدم القدرة على فهم الثقافة الجديدة يجعل الشخص الوافد منعزلا عن المجتمع، غير قادر على فهم خيوطه، مما يتعب الأسرة ويجعلها في مهب الرياح. إن الزواج من البلاد الأصلية يمكن تشبيهه بالزواج بين شخصين ينتميان لجيلين مختلفين. الوافد من الجيل الأول والمقيم من الجيل الثاني، وهكذا يصبح الشخص الوافد مطالبا بتعلم اللغة والعادات والثقافة بشكل عام. أما إذا كان الشخص الوافد غير منضبط الثقافة وذو لغة ضعيفة، فإن قدرته على فهم المجتمع الجديد تكون كذلك ضعيفة.

واجب الإنفاق على الزوجة

من الأمور التي تسبب التوتر في الأسر موضوع الإنفاق، فهناك من يرى أن الإنفاق واجب على الزوج فقط، وذلك رغم خروج المرأة للعمل وحصولها على المخصصات المالية للأطفال. ومن الناس من يرى أن موضوع الإنفاق، يجب ألا يحصر الواجب عند الرجل وخاصة حينما تكون المرأة تشتغل خارج البيت.

عندما ينفق الزوج من أجل تغطية المصاريف المتعلقة بالبيت، كالتدفئة والماء والكهرباء ومختلف الضرائب المتعلقة بالبيت والسيارة وكذلك المصاريف المتعلقة بالتأمين، والمصاريف المتعلقة بالتغذية، فإن الأزواج الذين لا يلقون مشاركة من أزواجهن اللواتي يحصلن على المخصصات المالية للأطفال وكذلك يشتغلن، فإن هذا الأمر يسبب تشنجًا داخل بيت الزوجية.، وكثيرا ما يفضي الشجار حول هذا الأمر إلى الفراق أو الطلاق.

فالزوج لا يستطيع تغطية كل المصاريف الترفيهية بعد النفقات الضرورية ويضطر لنقص بعض المصاريف المتعلقة بالتغذية واللباس أو السفر.

عندما لا يستطيع الزوجان التفاهم حول هذا الموضوع ينمو أحيانا صراع لفظية ينتج عنه في بعض الأحيان عنف جسدي يمارس عادة من جهة الزوج.

العنف الأسري

قد لا يكون السبب في العنف الممارس داخل الأسرة هو الاختلاف حول الإنفاق وكيفية ترشيده، وقد يكون هذا هو السبب الرئيسي في أغلب الأحيان.

من الأسباب التي تسبب العنف، اختلاف التصور والثقافة الأصلية، فتصور الزوجة للأدوار التي يجب ان يلعبها الزوج في الأسرة قد يكون مختلفا عن التصور الذي تلقاه الزوج في تربيته .

ومن الأسباب ما يشترك فيه الزوج مع باقي الناس، وهو المرض النفسي الذي غالبا ما يكون غائبا بشكل رسمي لأن الزوج لم يتصل في يوم من الأيام بالاختصاصي النفسي ولم يكشف عن المرض. وإن كشف عنه، فإن المرض يضل طي السر عوض من أن يمارس الزوج العلاج المفترض. وهكذا يتحكم المرض في السلوك دون علاج. وقد يكون العنف من جهة المرأة لنفس الأسباب.

ومن أسباب العنف، الكبت الجنسي، وهذه الحالة يسيرة عندما يعرض الأزواج حالتهم على الأخصائي النفسي قد يجدون حلولا في وقت وجيز.

حينما يمارس العنف الأسري على مرأى ومسمع من الأطفال فإن ذلك يكون له الأثر العميق على الأطفال.

العنف الجسدي والنفسي داخل الأسرة قد يكون مرضا نفسيا. أو عضويا بحيث يمكن للطبيب النفسي ان يكتشف المواد الزائدة أو الناقصة في الجسد ويصف الدواء المناسب لذلك. المشكلة تصير عويصة عندما ترتبط بهواجس نفسية أو دينية او اجتماعية تدعو صاحبها إلى الكتمان.

وعلى اي حال فإن عدم عرض الحالة على الاختصاصي في حد ذاته ضعف يحرم صاحبه من العلاج الممكن وأسرته من الإصلاح.

إمكانية العلاج في البلاد الأوروبية عامة متوفرة ومجانية، وما على الشخص إلا أن يتبع المسطرة المتعلقة بالعرض على الاختصاصي النفسي أو الطبيب النفسي. ولعل أول الطريق في المسطرة هو الحديث مع طبيب الأسرة.

تزويج القاصرات

من المؤاخذات على الأسر المسلمة في غرب أوروبا تزويج القاصرات، وهذا الأمر مما يجب تناوله على عدة مستويات، فعلى مستوى القانون، هذا من الأمور المحظورة، حيث لا يسمح بالزواج للفتاة في سن أقل من 18 سنةً. وتعليل ذلك أن هذا الحد العمري هو حد سن التمدرس، فعادة ما ينهي التلاميذ الدراسة الابتدائية والثانوية عند سن 18 سنة. ولكن هناك تناقض بين هذا القانون وحرية الفتاة في اختيار خليل لها أثناء الدراسة.

المشكلة بالنسبة للأسر المسلمة أنها تُتَّهم بالضغط على البنات وإكراههنّ على الزواج. ومن ذلك الزواج المبكر وخاصة عن طريق الإبعاد للبلاد الإسلامية الأصلية، أو استقدام زوج من تلك البلاد. في كلا الحالتين لا يكون للفتاة حرية الاختيار، والنتيجة هي الزواج المبكر والزواج بالإكراه.

المرأة المطلقة

للمرأة المطلقة وضعية صعبة حيث لازال البعض ينظر إليها على أنها هي السبب في حصول الطلاق دون أن يكون رأيهم مبنيا على معطيات موضوعية. ولهذا السبب فإن الزوجة تتحمل كافة انواع الضيم لكيلا تصبح مطلقة، وإذا كتب ذلك فإنها تسرع في إيجاد الزوج مجددا. إن السبب الرئيسي في هذه الوضعية هو المراقبة الاجتماعية. ذلك ان أبناء المسلمين يراقبون بعضهم البعض بشكل تلقائي ولا يحترمون خصوصية الآخرين، ومن اسباب ذلك الموروث الثقافي الذي لا يجد أصله في النصوص الإسلامية ولكن في العادات السيئة التي نهى عنها الإسلام نفسه ومنها التجسس والغيبة والنميمة.

وكذلك سوء فهم حالة المرأة، فكثير من المسلمين يعتبرونها ضعيفة وتحتاج إلى حماية، ومن ذلك ضرورة مرافقة المحرم للمرأة في السفر الطويل، وقد يكون هذا الأمر بالذات هو السبب في وجود هذا الفهم في الثقافة الإسلامية، حيث لا ينظر بشكل محمود للمرأة التي تسكن وحدها مثلا.

وضع المرأة المطلقة في أوروبا وضع لا تحسد عليه فبالإضافة للوحدة، يجب على المرأة ان تضطلع بالأعباء التعليمية والتربوية، ومن ذلك الحرص على أن تنجح العلاقة بين البيت والمدرسة بالإضافة إلى تأمين تنقل الأطفال لممارسة الرياضات والهوايات بشكل عام.

قد تنجح المرأة في كل هذا إن كان لها من القدرات والمهارات ما يؤهلها لذلك، بالإضافة إلى النفسية القوية والصبر والمثابرة. ولقد رأينا نماذج من هذا القبيل، خاصة إذا كان فارق السن بين الأطفال كبير، فإن الأبناء الكبار يساعدون في تنفيذ المهام. ومع ذلك فإن هؤلاء الأبناء يتحملون ما في الأصل ليس من مسؤولياتهم، فينعكس ذلك على دراستهم وشخصيتهم ومستقبلهم، وقد يكون ذلك كله إيجابيا.

تدخل الدولة لحماية الطفل والمرأة

سواء تعلق الأمر بالعنف أو التزويج القسري او غير ذلك من السلوك الذي ينافي القانون، فإن الجهات المعنية تتدخل مباشرة عندما يكون الأمر مرتبطا مباشرة بالأطفال أو بالعنف الذي يمارس ضد المرأة. وعندما يحصل هذا التدخل يبعد الأطفال القاصرون مع أمهم لاماكن قد لا يسمح للزوج معرفتها أو القرب منها. قد يكون هذا التدخل العنيف ضروريا وقد تخطأ المصالح المختصة، وفي كلا الحالتين فإن الأسرة تتفتت، ويعيش الأطفال مع أمهم إلى أن يدركوا سن الكبار، فيضطرون إلى مغادرة الأم والسكن بعيدا عنها، وبهذا يكون الطفل قد قضى سنوات تتراوح بين 8 و10 سنين مع والدتهم وحدها، مما يحمل ذلك من الآفات النفسية والاجتماعية والتربوية.

وكثيرا ما يبعد الأطفال وحدهم وبحسب السن إما يوضعون في مراكز مع أطفال آخرين في شبه مؤسسات داخلية، وإذا كانوا صغارا في أسر وما أكثر الأسر التي تتطلع للحصول على هؤلاء الأطفال.

بطبيعة الحال هناك أسباب غير العنف من طرف الوالدين تكون عاملا لإبعاد الأطفال عن الأسرة، وهذه الأسباب تتراوح بين الجرائم وسوء التصرف في المجتمع بشكل عام.